Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وابحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

موشحات لسان الدين بن الخطيب "دراسة في ضوء الحجاج اللغوي"

Muwashahat by Lisan al Din Ibn Khatib, a study in the light of the linguistic pilgrims

Dawya Laswed – د / الضاوية لسود
جامعة تبسة / الجزائر،
Dawyalaswed@gmail.com

المؤلف المرسل: الضاوية لسود- Dawya Laswed الإيميل: Dawyalaswed@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-12-05 تاريخ القبول: 2023-03-31

الملخص باللغة العربية:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على حجاجية الجانب اللغوي في موشحات لسان الدين بن الخطيب، وكيف أسهمت لغة موشحاته في إيصال معانيه لمتلقيه وإقناعهم وفق وسائل لغوية متعددة، وبطرق ذكية حققت في مواطن عديدة الاذعان.

الكلمات المفتاحية: موشحات- الخطيب- الحجاج- اللغوي.

Abstract:

This study aims to identify the argumentativeness of the linguistic aspect in the stanwas of lisan al Din ibn al khatib, and how the language of his stanzas contributed to conveying its meanings to its recipients and persuading them according to multiple linguistic means, and in smart ways.

Keywords: Muwashahat, Al khatib, argumentation, linguistic.

مقدمة:

الحجاج أو المحاججة موضوعٌ قديمٌ جديدٌ، فهو قديم يرجعه أغلب الدارسين إلى أفلاطون وأرسطو أو أقدم من ذلك بقليل، إذ يرجعه بعضهم إلى أسئلة السوفسطائيين واستشكالاتهم ومحاججاتهم التي كانت تلقى في مناسبات معينة، فقد عمدوا في بناء حججهم إلى تبني فكرة النفعية القائمة على اللذة أو الهوى، لا على فكرة النفعية القائمة على المُثل والخير(1)،فالسوفسطائيون–وهم يحاولون تحصيل هذه المنفعة-يستعملون أساليب لغوية وأخرى منطقية من أجل استثارة عواطف الجمهور وامتلاك قلوبهم وعقولهم، فقد امتلكوا القدرة الكبيرة على المنازلة والمساجلة، تلك القدرة التي تولدت لديهم ((من فن القول وحيازتهم لآليات الإقناع))(2).

أمَّا من أرجعه إلى أرسطو وأستاذه أفلاطون فيميز بين نوعين من الحجاج: الحجاج المغالطي الذي أوجده السوفسطائيون، وهذا النوع مستبعد في نظر هذه الفئة من مفهوم الحجاج، والنوع الثاني من الحجاج هو الذي يقوم على القياس والاستدلال الصحيحين وهو الذي بدأ به أفلاطون وطوره أرسطو.

والحجاج جديدٌ في الوقت نفسه؛ لأنَّ بعضهم يرجعه إلى الكتابات الحديثة في البلاغة الجديدة متمثلة بجهود الفيلسوف والقانوني البلجيكي شايم بيرلمان وزميلته أولبرشتتيتيكا اللذين أحدثا نقلة كبيرة في توضيح مفهوم الحجاج ومجالاته فضلا عن آليات اشتغاله عبر مؤلفهما المعروف (مصنف في الحجاج: البلاغة الجديدة)، فقد أعادا لنا هيبة البلاغة بعد أفول نجمها زمناً طويلاً من خلال إعلانهما القطيعة مع تصورات ديكارت حول العقل والاستدلال التي كانت سائدة قبلهما(3)،فضلاً عن أنهما قد حاولا أن يتوسعا في مجال اشتغال الحجاج نفسه وذلك بالخروج من الأجناس الخطابية التي تحدث عنها أرسطو فخص بها الخطابة سواء أكانت تشاورية أو احتفالية أو قضائية من دون غيرها من فنون القول في ذلك العصر، فأدخلا الحجاج في أنواع الخطاب كلِّها، فلم يعد الحجاج –عندهما- قاصراً على الخطابة بل امتدَّ إلى الأنواع الأخرى من النثر فضلا عن الشعر(4).

ولقد تأسس على هذا التوسع الذي أدخلاه في مجالات اشتغال الحجاج أن ظهر اهتمام بما هو هامشي فضلاً عمَّا هو مركزيٌّ، إذ تسعى البلاغة الجديدة إلى ((أن تكون علمًا واسعًا يشمل حياة الإنسان كلها في المجتمع، فهي

محاولة لوصف الخصائص الإقناعية للنصوص، عملت اللسانيات والتداولية ونظريات التواصل على إنضاجها، فالمناهج اللسانية الحديثة التي تأثرت بها البلاغة تنظر إلى اللغة كنسق تتفاعل عناصره في إطار علائقي يرفض دراسة الكلمات في ذاتها))[5]، ولعل مرجع هذا التوسع يعود إلى الفهم الجديد للحجاج، فهو تقنية يلجأ إليها المتكلم من أجل إقناع المخاطب بوجهة نظره أو محاولة التأثير فيه، أو هو ((إجراء يسلكه فرد أو مجموعة لدفع المستمع إلى تبني موقف اعتماداً على إثباتات أو حجج))[6].

ثم جاء بعد ذلك اللغوي الفرنسي ديكرو الذي قام بتطوير نظرية أفعال الكلام لأوستن وسيرل، ((وأقترح، في هذا الإطار، إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج))[7]، وما يهمنا من هذين الفعلين هو فعل الحجاج، فكثير ((من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية، توجه المتلقي إلى نتيجة محددة، أو تصرفه عنها))[8]،فالحجاج جزء من تكوين اللغة؛ وهو–على هذا الفهم- وظيفة قارة في بنية اللغة، فكل لغة تمتلك وظيفة حجاجية في جوهرها، وأن مؤشرات هذه الوظيفة – بحسب رأي أصحاب هذه النظرية- تكون في بنية الأقوال نفسها[9]، ومن ثم فقد ظهر اتجاه جديد يبحث في منطقة مختلفة تماماً، فبدأ يبحث عن الحجاج في اللغة منطلقاً ((من الفكرة الشائعة التي مؤداها: (أننا نتكلم عامة بقصد التأثير)))[10]،فابتعد بذلك عن مفهوم الحجاج الكلاسيكي المتمثل بجهود أرسطو ومن تبعه، وعن مفهوم الحجاج البلاغي عند بيرلمانوتيتيكا وغيرهم، وهذا الاتجاه الجديد الذي ظهر عند ديكرو منذ سنة 1973م في كتابه (السلالم الحجاجية)[11] هو ما تحاول هذه الدراسة تبنيه والتركيز عليه.

1. الحجاج والشعر:

الشعر –كالأنواع الأخرى من الخطاب- له وظيفة تتمثل في ((حث المتلقي على القيم الفاضلة، ومكارم الأخلاق، وردعه عن المعايب والنقائض وعموم الفواحش، فيؤدي الشعر على هذا النحو إلى تركيز منظومة القيم وتثبيت نظام الأخلاق))[12]، وهذه الوظيفة تحتم على قائل الشعر أن يلجأ إلى مجموعة من الآليات الحجاجية من أجل إقناع متلقيه أو محاولة التأثير فيه، يقول الدكتور أبو بكر العزاوي مدافعاً عن الرأي القائل بوجود الحجاج في الشعر ورافضاً لرأي تولمين (Toulmin): ((الخطاب الشعري كغيره من الخطابات الأخرى ليس لعباً في الألفاظ فقط، ولا يهدف إلى نقل تجربة فردية فحسب، إنه يهدف أيضاً في الأساس إلى الحث والتحريض والإقناع، والحجاج وهو يسعى إلى تغيير أفكار المتلقي ومعتقداته وإلى دفعه إلى تغيير وضعيته وسلوكه ومواقفه))[13]، فالخطاب الشعري وإن كان يهتم بالتخييل أكثر من الإقناع إلا أنه ((يمكن أن تترتب عنه آثار إقناعية قوية))[14]؛ لأن الشعرَ ((لا يخلو من أن يكون مثبتاً لشيء أو مبطلاً له أو مسوياً بين شيئين أو مبايناً بينهما أو مرجحاً أو مشككاً))[15][16].

ومن أجل هذا بدأت دراسات كثيرة تبحث في وسائل الإقناع في فنون القول المختلفة ولا سيما الشعر، إذ يعبّر الخطاب الشعري على اختلاف أشكاله عن رؤى الشاعر وقناعاته إزاء موضوع ما يحاول فيه الشاعر أن يثبت وجهة نظره عبر وسائل إقناعية مختلفة تشكل موضوع الحجاج ((التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم))[17]، فالغاية الرئيسة لأيّ خطاب تتمثل في إقناع الطرف الآخر بأمر ما كان يرفضه سابقاً أو على أقل تقدير أن يقرب بين وجهة نظريهما، وهذا الحجاج –في الغالب- لا يتمخض عنه فائز أو خاسر كما أنه لا يؤدي إلى بلوغ حل ما لما تنازع فيه الطرفان[18]، ومن أجل أن يحقق الخطاب الحجاجي غايته يجب أن يتوافر فيه ما يأتي[19]:

أ. اشتراطه لرغبتين، هما: إرادة المتكلم (المؤثر والمقنع)، وإرادة المتلقي (المتأثر والمقتنع).
ب. خضوع حججه للتراتبية والتنظيم: (القوة، الضعف)، (البدء، الختم)، (الإبطال، الإثبات)، إلخ.
ت. اشتماله على البعد الاستدلالي والبعد الإقناعي أو الجمع بين البيان والبديع.

فكلُّ دراسةٍ تُعنى بتتبع التقنيات الخطابية التي تؤدي إلى إقناع المقابل برأي ما لم يكن مقتنعاً به أو أنها تؤدي إلى زيادةٍ في الإقناع تسمى حجاجاً[20].

وعلى هذا الفهم حاولت هذه الدراسة تتبع مواطن الحجاج في موشحات لسان الدين بن الخطيب، وقبل أن نبدأ بذكر الآليات التي استعان بها فيما كتب علينا أن نوضح مفهوم الموشح لغة واصطلاحاً.

2. **مفهوم الموشح:**

2. 1. **الموشح لغةً:**

يعود معنى الموشح أو الموشحة في المعجمات العربية إلى معنى الوشاح أو الإشاح الذي ذكر تحت مادة (وشح)، إذ جاء في لسان العرب((**الوشاح والإشاح على البدل كما يقال وكافوإكاف،والوشاححليّ النساء كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما معطوف أحدهما على الآخر تتوشح المرأة به...**))[21]، فالوشاح حليٌّ يشترط فيها أن تكون منظمة تتقلدها المرأة لتتزين بها، كما يشترط فيها أن تخالف بعضها في الرصف لتزينها أكثر، وهو الأمر الذي سنعرفه في المفهوم الاصطلاحي للموشح، إذ إنَّ مخالفة نظم الأبيات هو من ميزات الموشح.

وورد في معجم مقاييس اللغة أن وشح:((**كلمة واحدة الوشاح،وتوشّح بثوبه كأنّه جعله وشاحه، وكذا اتشح به، وشاة موشحة:بجنبيها خطان**))[22]،ويضيف هذا التعريف معنى آخر للمادة وهو أن الوشاحتزيين للرجل أيضاً، فقد توشح الرجل بثوبه أي لبس لباسا مزينا، كما أن تسمية الشاة الموشحة -وهي الشاة التي تتزين بخطينعلى جنبيها يجعلانها تتميز بين القطيع- يدل على دخول التوشيح وصفاً للشاة أيضاً.

والمعنى متقارب في معظم معجماتنا العربية عموما ونستخلص من هذه المادة أنها تتضمن معنيين:

أ. معنى الزينة، فليس كلُّ لباس وشاحاً، فالوشاح لابدَّ من أن يكون ذا زينة، فمعنى أن تتوشح المرأة بالوشاحأن ترتدي أجمل الحليّ، حتى تكون جميلة به، ومثله يقال عن الرجل إذا لبس ثوباً يزينه، فقد توشح بثوبه، ومنه أطلق أيضاً على الشاة التي بجنبيها خطان.

ب. معنى التنظيم، فالحليّ الموشحة–عند المرأة- هي الحليّ المصنوعة من اللؤلؤ والجوهرالمنظمة على الخلاف أثناء ترصيعها، وتنظيم الملابس وتنسيقها –عند الرجل- توشيح له أو تزيين، ومثله يقال عن الخطين في الشاة فيجب أن تكون منظمة لتزيدها جمالاً.

2. 2. **الموشح اصطلاحاً:**

سُمّي الموشح بهذا الاسم لتناسب هذه المعاني مع البنية الفنية للموشح؛ ذلك أنهم استعاروا هذا الاسم من المعنيين اللغويين السابقين (الزينة، والتنظيم)، ووضعوهما في المعنى الاصطلاحي؛لأنّ الأقفال والأبيات والخرجة في الموشحة مزخرفة ومنظمة بطريقة مخصوصة كالوشاح، لذا قيل إنَّ الموشحَ اصطلاحاً ((كلامٌ منظومٌ على نحوٍ مخصوص، وهو يتألّف في الأكثر من ستة أقفال، وخمسة أبيات، ويقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات، ويقال له الأقرع، فالتامُ ما ابتديء فيه بالأقفال، والأقرعُ ما ابتديء فيه بالأبيات))[23]، ونفهم من هذا البسط أنّ الموشح كغيره من نظم الشعر بيد أنّه يتميز بخصائص تجعله مختلفاً عن سائر الشعر العربي ألا وهي بداية الجانب الشكلي، إذ يعد من مظاهر التجديد في الشعر العربي،وتركيزه على البنية الخارجية التي تعتمد الدقة في الرصف والتعدد في الأجزاء وهذا مكمن الاختلاف بينه وبين الشعر المعتاد حينها، ويكمن التجديد في بناء الموشح في وجود العناصر التالية:

أ/ **المطلع**: وهناك من أسماه (المذهب،أو القفل الأول): وهو المجموعة الأولى من أقسام الموشح،فإن وجد المطلع ((سمي الموشح تاما، وإن خلا سمي أقرع))[24].

ب/ **البيت**:أو ما يسمى (الدور)، ويأتي بعد المطلع مباشرة، فالبيت يختلف من القصيدة العمودية إلى الموشحة، فنجده في القصيدة مكون من صدر وعجز غير أنّه في الموشحة يتكون من عدة أجزاء[25].

ج/**القفل**: هو كل مطلع مترددٍ ومتكرر في الموشحة الواحدة ويشترط أن يكون على اتفاق مع المطلع والوزن والقافية والعدد،وبين كل قفل وقفل نجد البيت(الدور)[26].

د/ **الجزء** ويسمى كذلك(الغصن أو السمط):وهو الواحد من القفل أو المطلع أو الخرجة،ويختلف عدده بحسب طريقة نظم الموشحة[27].

ج/ **الخرجة**: .وهي القفل الأخير من كل موشحة[28]، وهي عنصر هام لا يمكن الاستغناء عنه بعكس المطلع

الذي قد تخلو منه الموشحة، فالخرجة ركيزة أساسية يبني عليها الوشاح موشحته،وقد عرّفها ابن سناء الملك في مؤلفه (دار الطراز) بقوله:((الخرجة أبراز الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة؛ لأنّها التي ينبغي أن يسبقالخاطر إليها،ويعملها من ينظم الموشح في الأوّل، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية، وحين يكون مسيبا مسرحا و متبحبحا منفسحا،فكيفما جاءه اللفظ والوزن خفيفا على القلب أنيقا على السمع،مطبوعا عند النفس،حلوا عند الذوق،تناوله وتنوّله،وعامله وعمله،وبنى عليه الموشح؛ لأنّه قد وجد الأساس...))[29]، وقد وظفنا هذا القول على طوله لأهميته في بحثنا إذ أننا نستشف منه جملة من المعطيات الخاصة بالخرجة كونها تجسد الهدف الذي يربو الوشاح لتحقيقه وعليه أن يستغل ما يجوب بخاطره في نظمها وما تفيض به قريحته في سبكها وما يلائم حنكته في إنشادها، ونفهم من هذا القول أيضاً ضرورة أن تكون الخرجة مُلفتة للانتباه ذلك أنّها تتضمن معنى التخلص والخروج (أي لن يتمكن الوشاح من إعادتها مرة أخرى)، فهي فرصة لكي يلفظ ما تخبيه قريحته، كأن يصرح باسم محبوبته،أو يعترف اعترافاً أياً كان نوعه، شرط أن تكون لغتها من لغة مفهومة واضحة.

3. التحليل الحجاجي لموشحات لسان الدين بن الخطيب:

علمنا ممَّا تقدم أن الحجاج يعني: ((تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، وبعبارة أخرى، يتمثل الحجاج في إنجاز متواليات من الأقوال، بعضها هو بمثابة الحجج اللغوية، وبعضها الآخر هو بمثابة النتائج التي تستنتج منها))[30]، وهو على هذا تقنية أو مجموعة تقنيات كامنة في اللغة يلجأ إليها المتكلم من أجل إقناع المخاطب أو على أقل تقدير من أجل التأثير فيه، وهذه التقنيات كثيرة، ومنها:

3. 1. أفعال الكلام:

الحجاج عند ديكرو فعلٌ كلاميٌّ؛ لأنَّ ((كثيراً من الأفعال الكلامية لها وظيفة حجاجية توجه المتلقي إلى نتيجة محددة، أو تصرفه عنها))[31]، فالفعل الحجاجي الذي أضافه ديكرو إلى مجموعة الأفعال الكلامية المعروفة قبله ينتمي ((إلى مجموع الأفعال الإنسانية التي تسعى إلى الإقناع، فكثير من مقامات التواصل تسعى في الواقع إلى حمل الفرد أو المتلقي أو الجمهور على تبني سلوك ما أو مشاطرة رأي معين))[32]، فلا يوجد مجال للشك في الدور الحجاجي الذي ينهض به الفعل الكلامي في أي خطاب، ونلمس تواجده في خرجات موشحات شاعرنا،على اختلاف أغراض توظيفه إلا أنّ الهدف منه أولا هو إقناعنا والتأثير فينا،ومن أبرز أفعال الكلام في موشحات لسان الدين بن الخطيب، ما يأتي:

3. 1. 1. الاستفهام:

يعمل الاستفهام على منح الخطاب قوة حجاجية يستمر أثرها في نفس المتلقي، وتعمل على إذعانه،وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تعني((طلب حصول صورة الشيء في الذهن))[33]، أو هو طلب العلم بشيءيجهله المتكلم، ويتم باستعمال أدوات لغوية كثيرة منها: الهمزة، وهل، وما، ومَنْ، وأيّ، وكم، وكيف، وأين، وأنَّى، ومتى، وأيان[34]، وحجاجية هذا الفعل اللغوي تكمن في أنَّ ((الاستفهام يفرض على المخاطب به إجابة محددة يملها المقتضى الناشئ عنه، فيتم توجيه الحوار الذي نخوضه معه الوجهة التي نريد، ومن ثمَّ يأتي لإجبار المخاطب على الإجابة وفق ما يرسمه له البعد الاستفهامي الاقتضائي))[35]، واستنادا لهذا المفهوم يتمثّل لنا الاستفهام في إحدى خرجات شاعرنا، قال:

هَلْ دَرَى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّه
عَنْ مَكْنِسِ[36]

فالاستفهام -هنا- فعل لغوي توجيهي الغرض من توظيفه أن يلفت نظر حبيبته، ويخبرها عن حالته، إذ هو طلبي يريد منه إقحام محبوبته بالشعور والاحساس بحالته،فالشاعر يجعلنا نحن(المتلقين) ذريعة ووسيلة لإيصال خبر اشتياقه لحبيبته،وهو ما خلق نوعاً من التفاعل بين البنى اللغوية ليظهر في صورة تساؤل ضمن ما تقر به نظرية الأفعال الكلامية، إذ((الاستفهام من أنجع

الأفعال اللغوية حجاجيا، وهو ما يوسل به الكثير في فعلهم..))[37]، إذ إن((الأسئلة أشد اقناعا للمرسل وأقوى حجة عليه وذلك عندما يكون قصد المرسل غير مباشر))[38]، فحجاجية هذا الأسلوب في هذا السياق مجيئه بصيغة (هل) وهي الصيغة التي جعلت بنية الخطاب أكثر تماسكاًولا سيما إذا علمنا أن الغرض من توظيف هذا الأسلوب يتمثل في الاعتراف والإقرار، فشاعرنا يعترف لحبيبته أنّها تملكت قلبه وصارت به، وهو ما جعل الخرجة حجاجية تعمل على جعل المتلقي يبحث في سبب هذا الاستفهام والغرض من توظيفه.

3. 1. 2. الأمر:

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية التي تعني ((طلب الفعل على وجه الاستعلاء والالزام))[39]،فالشرط الأساس في تحقق هذا الأسلوب هو أن يكون صادراً ممَّن هو أعلى مرتبة إلى من هو دونه في المرتبة، وأن يكون هذا الأمر ملزمًا لمن يوجَّه إليه؛ لأن الأمر عند أصحاب هذا الفن هو((أن ينظر الآمر لنفسه على أنَّه أعلى منزلة ممن يخاطب أو يوجه الأمر إليه سواء أكان أعلى منزلة منه في الواقع أم لا))[40]،وموشحات لسان الدين بن الخطيب قد تضمّنت هذا الأسلوب الإنشائي بطريقة أدّت إلى إضفاء قيمة حجاجية خاصة ونحن نبحث عن غرض توظيف الأمر في كل موضع وبحسب سياق وروده، ومن أمثلة ذلك قوله:

3. 1. 3. النداء:

يُعرَّف النداء في مراجع البلاغة على أنّه((طلب الإقبال بحرف نائب مناب ادعو لفظاً، أو تقديراً))[41]، وله أدوات أشهرها: (الهمزة،وآ،وأي، وآي، ويا،وأيا،وهيا،ووا)[42]، وقد يخرج النداء عن معناه الأصلي إلى معانٍ أخرى كالزجر،والتحسر،والاغراء، وغيرها ممّا تحدده القرائن ويبينه السياق، يقول الشاعر:

حينَ نادى الحبيبُ بالفخِّ   يا دموعي
أُسكبـــــي[43]

فالنداء في هذا الغصن مرتبط بأسلوب الأمر ممّا يزيد هذه الخرجة حجاجية، والغرض من هذا النداء هو الحسرة والألم، فالشاعر ينادي دمع عينه بالبكاء تعبيراً عن الألم الذي يعيشه جراء حالة حبّه، وهو ما جعل هذه الخرجة تنتهي بسؤال يطرحه المتلقي في نفسه عن حال الشاعر وهذا ما يزيده حجاجاً.

ونجد النداء في خرجة أخرى في قوله

يا منزلَ الغزالِ   حُيِّيتَ مَنْزلا[44]

والغرض من هذا النداء هو التحية والإقرار بهدف المدح والتقرب وهو ما يُعبِّر عن عواطف الشاعر عند مروره بمنزل حبيبته ممّا جعله يُوظف النداء بصيغة (يا) حتى يعبر عن قربه لها وتمنى أن تسأل عنه. من المؤكد أنّ دلالة توظيف النداء في خرجات موشحات الشاعر هو إجراء حجاجي عمل على إقناع المتلقي وإذعانه.

3. 2. الرو ابط والعوامل الحجاجية:

يرتبط مفهوم كل من الروابط الحجاجية والعوامل الحجاجية بمفهوم الوجهة الحجاجية، فكل أداة من الأدوات الحجاجية الكثيرة وكل عامل حجاجي يسير باتجاه واحد ومحدد يخدم الوظيفة الحجاجية التي يقصدها المتكلم.

3. 2. 1. الرو ابط الحجاجية:

الروابط الحجاجيةأدوات تربط بين ملفوظين أو أكثر يسمى بعضها حججاً، ويسمى بعضها الآخر نتائج،فهي تربط بين حجة أو مجموعة حجج ونتيجة، ويكون نتيجة هذه الروابط المختلفة ظهور علاقات حجاجية كثيرة ومتنوعة كالسببية والتفسيرية والتبريرية واللزومية وغيرها، ((ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ...إلخ))[45]، وتصنف هذه الروابط إلى الروابط المدرجة للحجج، وأخرى مدرجة للنتائج، والروابط التي تدرج حججاً قوية، وأخرى تدرج الحجج الضعيفة، وروابط للتعارض الحجاجي وأخرى للتساوق الحجاجي[46]، ومن أشهر الروابط الحجاجية التي اعتمدها لسان الدين بن الخطيب في موشحاته ما يأتي:

3. 2. 1. 1. الربط بـ(بل):

وهي من الروابط المدرجة للحجج، وهي تمتلك وظيفتين:وظيفة التعارض الحجاجي،ففي قوله تعالى: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى، وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى، بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**)[47]، فهذا النص المبارك يحتوي على حجتين، هما: (**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى**)، و(**ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى**)، تخدم نتيجة إيجابية مضمرة مثل: (**اذكر اسم ربك**)، وحجة

مضادة هي: (**تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**) تخدم النتيجة السلبية المضمرة: (**لن تذكر اسم ربك**)، وتكون هذه الحجة الأخيرة الموجِّه الرئيس للنتيجة الكلية للخطاب[48].

وتمتلك (بل) فضلاً عن وظيفة التعارض الحجاجي وظيفة أخرى وهي وظيفة التساوق الحجاجي، ففي قولنا: (**يحترم زيد أقاربه وجيرانه، بل يحترم خصومه**) تأتي الحجة بعد (بل) متساوقة مع الحجج التي قبلها في الوجهة نفسها،وتكون الحجة التي تلي (بل)، وهي احترام خصومه أقوى من حجة احترام أقاربه وجيرانه[49]، والذي يحدد وظيفة (بل) بين التعارض والتساوق في النص هو السياق الذي ترد فيه[50]، ومن أمثلة وجود هذا الرابط في الموشحات قول لسان الدين بن الخطيب:

3. 2. 1. 2. الربط بـ (لكن):

وهي من الروابط المدرجة للحجج أيضاً، ولها وظيفة التعارض الحجاجي، وتكون الحجة بعدها أقوى من الحجة التي ترد قبلها[51]، ففي قولنا: (**الجو معتدل اليوم، لكنني مشغولٌ جداً**) تطالعنا حجتان: الأولى، وهي (**الجو معتدل اليوم**) تؤول إلى نتيجة مضمرة كأن تكن (**إنني سأخرج في نزهة مثلا**)، والثانية ، وهي (**إنني مشغول جداً**) تؤول إلى نتيجة مضمرة مضادة للنتيجة الأولى تتمثل في (**عدم الخروج**)، والنتيجة الكلية للنص دائما ما تكون للنتيجة بعد الرابط لكن.

ومن أمثلة استعمال الشاعرلهذا النوع من الروابط قوله:

3. 2. 1. 3. الربط بـ (حتى):

وهي من الروابط المدرجة للحجج، وتمتلك وظيفة التساوق الحجاجي[52]، مثال ذلك ما نلاحظه في قول الشاعر:

قَهرْناكمُحتى الكماةَفأنتمُ تَهابونَناحتى بَنِينَا الأَصاغِرا

فالحجة التي تأتي بعد (حتى) في شطري هذا الشاهد أقوى من الحجة التي قبلها[53]، ومن أمثلة ذلك في الموشحات قوله:

3. 2. 1. 4. الربط بـ (إذن):

وهي من الروابط المدرجة للنتائج[54]، ففي قولنا: (**زيدٌ مجتهدٌ، إذن سينجح في الامتحان**)، تكون العبارة الأولى: (**زيدٌ مجتهدٌ**) حجة يقدمها المتكلم لصالح النتيجة التي تأتي بعد الأداة (إذن)[55].

ومن أمثلة ذلك في موشحات لسان الدين بن الخطيب قوله:

3. 2. 1. 5. الربط بأسلوب الشرط:

يُعد الشرط أحد الطرق الحجاجية،وهو من أهم وسائل الإقناع التي تُوظف في اللغة عموما،ذلك من منطلق مبدأ التعليق كونه نحوياً يعني تعليق أمر بأمر، وربط تحقق قضية بقضية أخرى،وهو الشيء الذي يُكسبه تلك القوة الطلبية العاملة على تفعيل مهمة الإقناع[56].

فالشرط إذن من الوسائل اللغوية التي تسهم في تحقيق آليات الحجاج وما له من أثر في المتلقي وسنتعرف على هذا عبر رصده في موشحات لسان الدين بن الخطيبيقول:

كُلَّمَا فاضَ دَمْعِيَ الجاري صِحْتُ: واخِلَّتي[57]

تبدأ هذه الخرجة بهذا الشرط بصيغة (كلّما) التي تفيدفي هذا السياق إبانة حال الشاعرالمحزنة، وهي دليل على تكرار ألمه، وقد أسهم هذا التركيب الشرطي في تقوية المعنى والتأثير في المتلقيولا سيما عندما جاء جواب هذا الشرط في صيغة جملة فعلية (صحت: واخلتي) وهي استغاثةجعلت البنى اللغوية في هذه الخرجة أكثر حجاجية.

و نجد التركيب الشرطي في خرجة أخرى من موشحاته، وهذا في قوله:

فمـا أُرى بسـالِ عَنْهُ وإنْ سَلا[58]

الملاحظ على هذا التركيب إضافة إلى كونه شرطياً هو أنّه يتضمن ظاهرة التقديم والتأخير بمعنى تقديم جملة جواب الشرط (فما أرى بسال) على جملة الشرط(وإنْ سلا) فالواضح أنّ الشاعر يود إخبارنا أنّه لن يسأل عن حبيبته حتى وإنْ سألت عنه هي، فالتركيب الشرطي هنا أمر حجاجي وما جعله أكثر قوة في الحجاج أنّه جاء بتقديم وتأخير.

حسبيَ الله لِمْ ذا العِتابْإنْ كان وأذنبتُ تر اني نتوبْ[59]

وهنا نجد تركيبا شرطيا بصيغة (إنْ) الشرطية، فالشاعر يصور لنا حديث حبيبته التي تخاطبه فهي على

خطأً في حقه، فالتوبة لله ماحية للذنب، فجعل شرط الذنب بصيغة (إنْ كان وأذنبت) بمعنى أنها فعلت شيئاً وهي تندم عليه وتجعل من التوبة حلا لها وهو ما جاء في جواب الشرط (تراني نتوب)

لقد أضفى هذا التركيب الشرطي في خرجات لسان الدينبن الخطيب سمة التماسك ولفت الانتباه وهو في كل موضع يجعلنا نبحث عن الشرط وجوابه كأنها دعوة منه لنستعلم أمره في هذا النظم، وهو ما جعل البنى اللغوية التي كوّنت الشرط تُثري الخرجة في كل مرة بحجاج لغوي لافت للمتلقي يفتنه به.

3. 2. 2. العوامل الحجاجية:

تختلف العوامل الحجاجية عن الروابط الحجاجية، إذ إنَّها ((لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريباً، كاد، قليلاً، كثيراً، ما... إلا، وجل أدوات القصر))[60]، فوظيفة العوامل الحجاجية تكمن في تقليل الاحتمالات الدلالية لأي ملفوظ وتوجيهه الوجهة الصحيحة، فقولنا: (**الساعة تشير إلى الثامنة**)، يختلف عن قولنا: (**لا تشير الساعة إلا إلى الثامنة**)؛ لأن القول الثاني الذي يحتوي على العامل الحجاجي المتمثل بالقصر (لا...إلا) يكون أكثر تحديداً، فهو يعمل على استبعاد الاحتمالات الأخرى التي نفهمها من القول الأول[61]، ومثال هذا النوع من العوامل الحجاجية في موشحات لسان الدين بن الخطيب قوله:

3. 3. السلم الحجاجي:

السلم الحجاجي علاقة كسائر العلاقات الحجاجية الأخرى كالسببية أو التفسيرية أو التبريرية أو غيرها إلا أن هذه العلاقات الأخيرة تربط -كما قلنا سابقاً- بين الحجة أو مجموعة الحجج والنتيجة[62]، أما العلاقة في السلم الحجاجي فهي بين الحجج نفسها، فهي((علاقة ترتيبية للحجج))[63]، وهذا يعنيضرورة ترتيب الحجج المدافعة عن فكرة ما ترتيبا يحقق نجاحها على أن تكون هذه الأقوال تمتلك حجيتها وفي هذا تتفاوت درجة كل حجة وقوتها حتى تكون مرتبة حجاجيا،كما يشترط الدكتور طه عبد الرحمن وجود شرطين للسلم الحجاجي ويتمثلان في :

أ. أنَّ ((كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه))[64]؛ أي لا يمكن أن نصطلح السلم الحجاجي على مجموعة من الحجج مبعثرة وغير محكمة لا تتضمن الدفاع عن فكرة واحدة، بل لابد أن تكون مرتبة بحسب قوتها وبروزها في القول.

ب. وأنَّ ((كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين،كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه))[65]، أي الحجج التي تدافع عن فكرة واحدة، أقواها ما كان أعلى مرتبة ممّا تحتها فهي دليل على حجية الفكرة.

ومن الموشحات ما وجدناه شكَّل لنا سلميةحجاجيةقوله:

ن **يا دموعي اسكبي**
ح2 **صِحْتُ: واخِلَّتي**
ح1 **كُلَّمَا فاضَ دَمْعِيَ الجاري**[66]

نلاحظ أنّ الشاعر شكل لنا سلمية، عن طريق تضافر بعض الحجج وفق قوتها وعلى تراتبية منطقية، فالشاعر يتذكر خليلته فتفيض عيناه دموعا جارية(ح1) لهذا الأمر، و لا يكتفي بالبكاء في صمت بل يصيح مستصرخاً ومعبراً عن ألمه وشوقه(ح2) ليستسلم لهذه الحال ولا يجد حلا سوى أن يأمر الدموع بالبكاء وهي ما مثلت لنا نتيجة جوهرية لهذه السلمية التي أسهمت في إبراز الجوانب الحجاجيةلهذه الموشحة، إذ تجعل المتلقي يتتبّع ويتوقع ما سيفعل الشاعر للخروج بحاله وها نحن نجده لا يجد سوى الدموع نتيجة وتعبيرا عن حزنه، لقد أضفت هذه السلمية إقناعاً للمتلقي إذ فتحت له المجال للتفكير فيحال الشاعر.

أمّا في الخرجة الآتية فقد شُكلت السلمية من بعض الحجج التي مؤداها إلى نتيجة حجاجيةتتمثل فيالآتي:

ن **أمس أذنبَ العبدُ واليومَ تابْ والتوب يمحي يا حبيبي الذنوبْ**
ح3 **فجاءتْ تقول: حسبيّ عفو الله لِمْ ذا العِتابْ إن كان وأذنبت تر اني نتوبْ**
ح2 **شفَّها الوَجْدُ**
ح1 **أقلقها الهَجْرُكجَمْر الغَضَا**[67]

نجد الشاعر في هذه الخرجة يصف موقف حبيبته التي فارقها وكأنّها تعترف بذلك وتُقدم اعتذارا بتكبّر، فرتّب لنا ذلك وفق حجج أسهمت في بناء سلمية، فبدأها بوصف قلقها المُحرق(ح1) ثم أحست بولعة الوجد أي الفراق(ح2) ثم لم تجد حلا لمعاناتها سوى أن تستعين بالله وطلب الصفح والاعتراف بذنبها(ح3)، لقد شكلت لنا هذه الحجج مقدمات تعمل للتوصل إلى نتيجة مفادها الاعتراف بذنبها والتوبة عن ذلك(ن) إنّ مجموعة تلك الأقوال بنت سلماً حجاجياً له دور كبير في اقناع المتلقي بحال حبيبة الشاعر وفق مسلك منطقيّ جعلنا نستشف وضعها وننتظر نتيجة تلك المقدمات.

وفي مقتطف آخر من الخرجات نجد هذه السلمية:

ن ↑ **ومِنَ الوَجْدِ همْتُ لا أدري لذةً للهجُوع**
ح4 **واعْدلُوا بالرّجُوع**
ح3 **فاقبلوا عُذْري**
ح2 **شفَّني الوَجْدُ**
ح1 **صحتُ قَدْ أنحَلَ الهَوى جسمي طامِعَاً بالسَّلامْ**[68]

ترتب الحجج أعلاه كي تسهم في التوصل للنتيجة الحجاجية، فنجد الشاعر يصيح من جراء الوله والصبابة التي يعيشها، وقد تسبب له ذلك نحالة، ومع هذا يطلب السلام والصفح(ح1)، ثم يتدرج في وصف حاله فقد أتعبة البين والبعد والفراق(ح2)، ليجد نفسه يتطلب الاعتذار بصريح عبارته(ح3)، بغية رجوع خليلته التي أعياه حاله عند فراقه لها(ح4)،تضافرت هذه المقدمات لتوصلنا إلى نتيجة حجاجية مفادها أنّ الشاعر هام من حالته ولا يعرف لحياته لذة جراء فراق حبيبته(ن).

ومن هذا المنطلق نجد أنّ السلالم الحجاجية هذه تدمج الجانب اللساني بالجانب المنطقي من أجل معرفة قوة الحجة ووظيفتها في الخطاب، وهي من أقوى الحجج التي ينبني عليها الخطاب لما لها من دور في إذعان المتلقي وإثارته فكرياً كي يعمد إلى فهم تلك الحجة واستبيانها للتوصل إلى الإقناع، وعليه تكتسي هذه الحجج مكاناً قيّماً في البحث الحجاجي الحديث ونجد لها توظيفة في خطاباتنا العربية سواء أكانت نثرية أم شعرية.

الهوامش:

1) ينظر: الحِجَاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر:27.
2) عبد اللطيف عادل : بلاغة الإقناع في المناظرة، ص: 29.
3) ينظر: الحجاج في التواصل: 22.
4) ينظر: مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايمبيرلمان، مجلة عالم الفكر: 33-34.
5) عباس حشاني: مصطلح الحجاج بواعثه وتقنياته، مجلة المخبر، العدد (9)، سنة 2013م، ص،ص: 268-269.
6) محمد طروس: النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية والمنطقية واللسانية،ص: 8.
7) أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي، ضمن كتاب: التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه، تنسيق: حمو النقاري:56.
8) فاضل سعد: بنية الحجاج لسورة النبأ، وآليات بيانها دراسة تطبيقية، أمين ضمن كتاب: الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 113.
9) ينظر: أبو بكر العزاوي : اللغة والحجاج،ص: 14.
10) المرجع نفسه، ص:55.
11) المرجع نفسه، ص:55.
12) سامية الدريدي: الحجاج في الشعر العربي القديم، ص،ص.: 68-69.
13) حوار حول الحجاج، ص: 39.
14) مدخل إلى الحجاج أفلاطون وأرسطو وشايمبيرلمان، ص: 15.
15) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء،ص: 135.

17) بيرلمانوتيتيكا : الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج: الخطابة الجديدة ل، ضمن كتاب أهمية نظرية الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، ص: 229.
18) ينظر: ديبوراشيفرين: المجادلة اليومية: تنظيم المغايرة في الكلام، د، ضمن كتاب بحوث في تحليل الخطاب الإقناعي، ترجمة: د. محمد العبد، ص: 13.
19) ينظر الخطاب الحجاجي في كتاب المساكين للرافعي، ص: 52.
20) ينظر: الحجاج في التواصلص، ص: 22-23.
21) ابن منظور: لسان العرب، ، مادة (وشح).
22) ابن فارس: مقاييس اللغة،ص:114/6
23) ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، ، تحقيق: جودة الركابي، دمشق، 1949، ص: 25.

24) حنا الفاخوري، الموجز في الأدب العربي وتاريخه الأدب في الأندلس والمغرب أدب الانحطاط ،المجلد3، دار الجيل، بيروت، ط2، لبنان،1991م: 172.

25) ينظر محمد عباسة، الموشحات والأزجال الأندلسية وأثرها على شعر التروبادور، دار أم الكتاب للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2012، :66.

26) ينظر : حنا الفاخوي: الموجز في الأدب العربي،: 68، و172.

27) ينظر، محمد عباسة: الموشحات و الأزجال،: 69.

28) ينظر: أحمد محمد عطا: دراسات في الموشحات والأزجال، ، مكتبة الآداب،القاهرة،مصر، ط1، 1999: 9.

29) ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات، تح: جودي الركابي، دمشق،1949: 32.

30) أبو بكر العزاوي: الحجاج والمعنى الحجاجي،: 57.

31) بنية الحجاج لسورة النبأ وآليات بيانها دراسة تطبيقية، أمين فاضل سعد، ضمن كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 113.

32) الحجاج في التواصل: 18.

33) المطول شرح تلخيص المفتاح، سعد الدين التفتازاني، صححه وعلق عليه: أحمد عزو عناية، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، (د.ت): 404.

34) ينظر: البلاغة والتطبيق، د. أحمد مطلوب، د. كامل حسن البصير، مطابع بيروت الحديثة، ط1، بيروت، (د.ت) : 131-132.

35) بنية الحجاج لسورة النبأ وآليات بيانها دراسة تطبيقية، أمين فاضل سعد، ضمن كتاب الحجاج رؤى نظرية ودراسات تطبيقية: 113.

36) موشحات لسان الدين بن الخطيب، دراسة وجمع: د. عبد الحليم حسين الهروط، دار جرير للنشر والتوزيع، ط2، عمَّان، 2012م : 148.

37) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري: 483.

38) استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري: 484.

39) ينظر: البلاغة والتطبيق:123.

40) علم المعاني، عبد العزيز عتيق: 75.

41) المطول شرح تلخيص المفتاح: 429-430.

42) ينظر:الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، ط2، بيروت، (د.ت): 136.

43) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 116.

44) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 155.

45) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: 27.

46) ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: 30.

47) سورة الأعلى: الآيات: 14، و15، و16.

48) ينظر: الخطاب والحجاج: 25.

49) ينظر: اللغة والحجاج: 64.

50) ينظر: اللغة والحجاج: 30، و64، والخطاب والحجاج: 23-24.

51) ينظر: الخطاب والحجاج: 46.

52) ينظر اللغة والخطاب: 30.

53) ينظر اللغة والحجاج: 73.

54) ينظر: اللغة والحجاج: 30.

55) الحجاج والمعنى الحجاجي: 65.

56) ينظر: ممارسات في النقد واللسانيات، نواري سعودي أبو زيد: 133.

57) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 116.

58) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 155.

59) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 122.

60) اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: 27.

61) ينظر: اللغة والحجاج: 28.

62) ينظر: اللغة والحجاج، أبو بكر العزاوي: 20.

63) اللغة والحجاج: 20.

64) اللسان والميزان: 277.

65) اللسان والميزان: 277.

66) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 116.

67) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 122.

68) موشحات لسان الدين بن الخطيب: 151-152.